

مغامرات الكهف
مسلسل قصصي للأطفال
4
محمد المختار جنّات
زهور السوسن
رسم: م. ش. سعيدان
cérès
EDITIONS

مغامرات
الكهف

محمد المختار جنّات

زهور السوسن

الحلقة الرابعة



رسم: م. ش. سعيدان



حظي هذا الكتاب
بتوصية من وزارة الثقافة

تصميم وإشراف فني : عبد الستار الباجي

ISBN 9973-19-085-8

6 ، شارع عبد الرحمان عزّام – 1002 تونس



الحلقة
الرابعة

زهور السوسن

ملخّص الحلقة السابقة

[illegible] وَدِيعَةُ مَعَ أَبِيهَا إلَى ٱلْحَقْلِ، وَقَصدَتِ السَّاقِيَّةَ لِتَلْهُوَ فَعَثَرَتْ عَلَى عِدَّةِ أَشْيَاءٍ مِنْ بَيْنِهَا مِفْتَاحٌ صَغِيرٌ. وَفَجْأَةً بَرَزَتْ مِنَ ٱلْكَهْفِ ٱلْقَرِيبِ مِنَ السَّاقِيَّةِ بُنَيَّةٌ تُشْبِهُهَا ٱسْمُهَا بَدِيعَةُ، فَاتَّجَهَتْ إلَيْهَا لِتَلْعَبَ مَعَهَا، فَطَلَبَتْ مِنْهَا ٱلْمِفْتَاحَ ٱلَّذِي وَجَدَتْهُ لِتَفْتَحَ بِهِ قَصْرَ أَبِيهَا ٱلْوَاقِعَ فِي مَدْخَلِ ٱلْكَهْفِ وَأَلَحَّتْ عَلَى وَدِيعَةَ لِتَدْخُلَ مَعَهَا ٱلْقَصْرَ.

رَحَّبَ أَهْلُ بَدِيعَةَ بِوَدِيعَةَ وَوَاصَلُوا ٱلاسْتِعْدَادَ لإِقَامَةِ عُرْسِ ٱبْنِهِمْ يَاقُوتٍ، وَصَحِبُوا مَعَهُمْ وَدِيعَةَ، فَلَمَّا عَبَرُوا حَدِيقَةَ ٱلْقَصْرِ تَخَلَّفَتْ وَدِيعَةُ عَنْ مَوْكِبِهِمْ وَضَلَّتْ عَنِ الطَّرِيقِ، فَوَقَعَتْ فِي يَدِ «عَجُوزِ السُّتُّوتِ» فَعَرَضَتْ عَلَيْهَا عِقْداً مِنَ ٱلْيَاسَمِينِ لِتُعْطِيَهِ هَدِيَّةً لِلْعَرُوسِ، وَدَلَّتْهَا عَلَى جِرْوٍ مَرْبُوطٍ فِي ٱلْحَدِيقَةِ لِتُطْلِقَ سَرَاحَهُ وَتَتْبَعَهُ، فَيُوصِلَهَا إلَى قَصْرِ ٱلْعَرُوسِ «قُوتِ ٱلْقُلُوبِ».

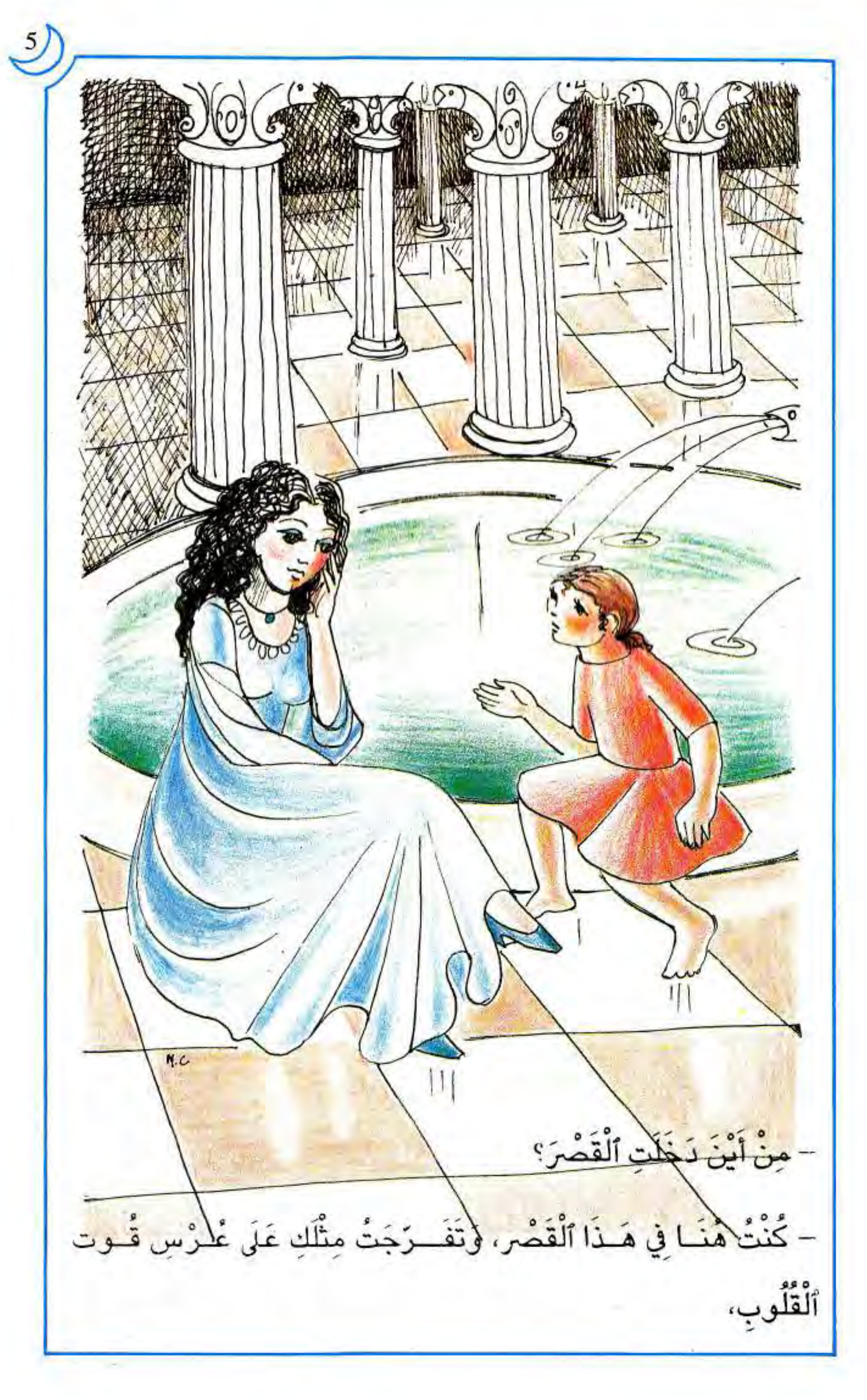
فَرِحَتْ بَدِيعَةُ بِقُدُومِ صَاحِبَتِهَا فَأَطْلَعَتْهَا وَدِيعَةُ عَلَى عِقْدِ ٱلْيَاسَمِينِ فَأَتْلَفَتْهُ لأَنَّهُ مَسْحُورٌ وَقَدَّمَتْهَا إلَى ٱلْعَرُوسِ «قُوتِ ٱلْقُلُوبِ» فَرَحَّبَتْ بِهَا.. وَفِي ٱلْحَفْلِ أَهْدَى لَهَا «مِرْعَادُ» ٱبْنُ حَارِسِ ٱلْقَصْرِ ـــ ٱلَّذِي مَسَخَتْهُ

ٱلْعَجُوزُ جِرْواً ــ خَاتَماً فَرِحَتْ بِهِ وَدِيعَةُ كَثِيراً، وَٱتَّجَهَتْ لِتَبْحَثَ عَنْ مِنْدِيلِهَا الَّذِي سَقَطَ مِنْهَا بِدُونِ أَنْ تَشْعُرَ، فَتَاهَتْ بَيْنَ غُرَفِ ٱلْقَصْرِ. وَلَمَّا عَادَتْ إِلَى ٱلْبَهْوِ ٱلْكَبِيرِ لَمْ تَجِدْ بِهِ أَحَداً.

جَلَسَتْ وَدِيعَةُ عَلَى حَافَةِ ٱلْحَوْضِ بِبَهْوِ ٱلْقَصْرِ، وَوَضَعَتْ رَأْسَهَا فَوْقَ رُكْبَتَيْهَا، وَأَخَذَتْ تُفَكِّرُ فِي ٱلْمَأْزِقِ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ: كَيْفَ تَخْرُجُ مِنَ ٱلْقَصْرِ؟ وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ إِذَا خَرَجَتْ مِنْهُ؟ أَلَا تَقَعُ ثَانِيَةً فِي يَدِ عَجُوزِ السُّتُوتِ فَتَسْأَلُهَا عَمَّا فَعَلَتْ بِعِقْدِ ٱلْيَاسَمِينِ الَّذِي طَلَبَتْ مِنْهَا أَنْ تُقَدِّمَهُ إِلَى ٱلْعَرُوسِ قُوتِ ٱلْقُلُوبِ وَتَسْحَرَهَا ٱلْعَجُوزُ عِقَاباً لَهَا عَلَى إِفْشَائِهَا السِّرَّ، وَتَمْسَخُهَا كَمَا مَسَخَتْ مِنْ قَبْلُ مِرْعَاداً ٱبْنَ حَارِسِ ٱلْقَصْرِ، فَتَصِيرُ مِثْلَهُ جِرْواً أَوْ هِرَّةً، ثُمَّ تَسْجُنُهَا فِي ٱلْحَدِيقَةِ؟

وَأَمَضَّهَا التَّفْكِيرُ وَأَعْيَاهَا، وَغَلَبَهَا النُّعَاسُ فَنَامَتْ، وَفَجْأَةً شَعَرَتْ بِخُطُوَاتٍ خَفِيفَةٍ تَقْتَرِبُ مِنْهَا، فَأَفَاقَتْ مِنْ نَوْمِهَا مَذْعُورَةً، وَعِنْدَمَا فَتَحَتْ عَيْنَيْهَا رَأَتْ أَمَامَهَا صَبِيَّةً جَمِيلَةً، فَخُيِّلَ إِلَيْهَا أَنَّهَا فِي حُلْمٍ، فَفَرَكَتْ عَيْنَيْهَا، وَنَظَرَتْ مِنْ جَدِيدٍ إِلَى الصَّبِيَّةِ. وَإِذَا هِيَ تَدْنُو مِنْهَا مُبْتَسِمَةً، وَتَقُولُ لَهَا فِي لُطْفٍ:

– أَنَا بَرِيقُ، بِنْتُ مَلِكِ مُرُوجِ ٱلْعَقِيقِ.



– مِنْ أَيْنَ دَخَلْتِ ٱلْقَصْرَ؟

– كُنْتُ هُنَا فِي هَذَا ٱلْقَصْرِ، وَتَفَرَّجْتُ مِثْلَكِ عَلَى عُرْسِ قُوتِ ٱلْقُلُوبِ،

تَعَجَّبَتْ وَدِيعَةُ مِنْ كَلَامِ بَرِيق وَقَالَتْ لَهَا:

-عَجَباً، أَنَا لَمْ أَرَكِ، ثُمّ إِنّي فَتَّشْتُ غُرَفَ ٱلْقَصْرِ بَعْدَ خُرُوجِ مَوْكِبِ الْعَرُوسِ وَلَمْ أَجِدْ بِهَا أَحَداً.

رَدّتْ بَرِيقُ:

- كُنْتُ مَعَ عِمَادٍ حَارِسِ ٱلْقَصْرِ..

- أَيْنَ هُوَ؟ أَنَا لَمْ أَرَهُ؟

- كَانَ مَعِي فِي حَدِيقَةِ ٱلْقَصْرِ.

اِزْدَادَتْ وَدِيعَةُ تَعَجُّباً، وَسَأَلَتْ بَرِيقَ:

- وَلِمَاذَا كُنْتِ مَعَ عِمَادٍ فِي حَدِيقَةِ ٱلْقَصْرِ؟

فَكَّرَتْ بَرِيقُ قَلِيلاً، وَقَالَتْ:

- سَوْفَ لاَ أُخْفِي عَنْكِ شَيْئاً يَا وَدِيعَةُ.. عِمَادُ حَارِسُ ٱلْقَصْرِ سَاحِرٌ كَبِيرٌ، وَقَدْ كَشَفَ أَمْرِي. وَلَمّا أَرَدْتُ دُخُولَ ٱلْقَصْرِ مَنَعَنِي فَأَبْلَغْتُهُ سَلاَمَ حَارِسِ قَصْرِنَا شَدّادٍ وَكَانَ أُسْتَاذهُ ٱلَّذِي عَلَّمَهُ السِّحْرَ، فَتَرَكَنِي أَدْخُلُ ٱلْقَصْرَ، وَٱنْشَغَلَ بِٱلْعُرْسِ، فَلَمّا خَرَجَ ٱلْمَوْكِبُ نَادَانِي، وَسَأَلَنِي عَنْ أَحْوَالِ شَدّادٍ، وَعَنْ سَبَبِ قُدُومِي.

فَخَرَجْتُ أَتَمَشَّى مَعَهُ فِي حَدِيقَةِ ٱلْقَصْرِ، وَحَكَيْتُ لَهُ قِصّةَ أُخْتِي أَجْفَانَ....

صَمَتَتْ بَرِيقُ قَلِيلاً، وَأَضَافَتْ:

- إِنّ قِصّةَ أُخْتِي أَجْفَانَ أَغْرَبُ مِنْ قِصَّةِ صَاحِبَتِكِ بَدِيعَةَ.

فَتَحَتْ وَدِيعَةُ فَمَهَا مِنْ شِدّةِ ٱلْعَجَبِ، وَقَالَتْ لِبَرِيقَ:

- أَوَ تَعْرِفِينَ قِصّةَ بَدِيعَةَ، يَا بَرِيقُ؟ أَهِيَ ٱلَّتِي حَكَتْ لَكِ عَنْهَا؟

- لاَ، لَمْ تَحْكِهَا هِيَ لِي.. فَأَنَا لَمْ أَرَهَا إِلاّ فِي عُرْسِ أَخِيهَا.

- إِذَنْ، مِمّنْ سَمِعْتِ قِصّتَهَا؟ وَمَنْ حَكَاهَا لَكِ؟

- قِصّةُ بَدِيعَةَ شَاعَتْ وَذَاعَتْ حَتّى عَرَفَهَا سُكّانُ مَمْلَكَةِ «مُرُوجِ الْعَقِيقِ» كُلِّهَا. وَكَانَ أَبِي قَدْ قَرَأَهَا فِي الأَلْوَاحِ، وَعَرَفَ أَنَّ خَلاَصَهَا وَخَلاَصَ عَائِلَتِهَا سَوْفَ يَكُونُ عَلَى يَدَيْكِ أَنْتِ يَا وَدِيعَةُ.

شَهِقَتْ وَدِيعَةُ وَخَبَطَتْ صَدْرَهَا، وَقَالَتْ:

- يَا لَلْعَجَبِ! حَتّى سُكّانُ مَمْلَكَتِكُمْ يَعْرِفُونَنِي؟

أَسْرَعَتْ بَرِيقُ إِلَى ٱلْقَوْلِ:

- لاَ يَا وَدِيعَةُ.. لاَ يَعْرِفُ خَبَرَكِ إِلاّ أَبِي، وَلَمْ يَحْكِ عَمَّنْ يُخَلِّص

بَدِيعَةَ وَعَائِلَتَهَا إِلاّ لِـوَالِدَتِي.. وَقَدْ حَكَتْ لَنَـا أُمُّنَا ٱلْخَبَرَ، وَطَلَبَتْ مِنَّا كِتْمَانَهُ.

وَصَمَتَتْ بَرِيقُ قَلِيلاً، ثُمَّ قَالَتْ:

- اِسْمُكِ يَا وَدِيعَةُ مَسْطُورٌ، فِي أَلْوَاحِنَا مُنْذُ دُهُور.

اِبْتَسَمَتْ وَدِيعَةُ، وَقَالَتْ لِبَرِيقَ:

- لِمَاذَا لَمْ تَذْهَبِي مَعَ أَهْلِ ٱلْعُرْسِ لِتَشْيِيعِ ٱلْعَرُوسِ؟ هَلِ ٱنْشَغَلْتِ مِثْلِي، وَفَاتَكِ ٱلْخُرُوجُ مَعَهُنَّ؟

طَأْطَأَتْ بَرِيقُ رَأْسَهَا، وَقَالَتْ:

- أَنَا لَمْ أَجِيءْ لِهَذَا ٱلْقَصْرِ لِأَتَفَرَّجَ عَلَى عُرْسِ قُوتِ ٱلْقُلُوبِ. وَإِنَّمَا جِئْتُ لِأَلْقَاكِ يَا وَدِيعَةُ... وَقَدْ قُلْتُ ذَلِكَ لِحَارِسِ ٱلْقَصْرِ عِمَادٍ حِينَ خَرَجْتُ مَعَهُ إِلَى حَدِيقَةِ ٱلْقَصْرِ.

اِنْدَهَشَتْ وَدِيعَةُ، وَقَالَتْ:

- حَتَّى أَنْتِ فِي حَاجَةٍ إِلَيَّ؟

- نَعَمْ، يَا وَدِيعَـةُ.. لأَنَّ خَلاَصَ أُخْتِي «أَجْفَـانَ» لاَ يَكُونُ إِلاَّ عَلَى يَدَيْكِ.

- أُخْتُكِ أَجْفَانُ!!

اِغْرَوْرَقَـتْ عَيْنَا بَرِيـقَ بِالدَّمْـعِ، وَقَالَتْ لِـوَدِيعَةَ، وَقَـدْ غَلَبَهَا ٱلْبُكَاءُ:

- نَعَمْ، يَـا وَدِيعَةُ. أُخْتِي أَجْفَانُ ٱلْعَلِيلَـةُ، الَّتِي تَحَوَّلَتْ إِلَى غَـزَالَةٍ جَمِيلَةٍ.

اِحْتَارَتْ وَدِيعَةُ، وَقَالَتْ لِبَرِيقَ:

- أُخْتُكِ غَزَالَـةٌ جَمِيلَةٌ، مَرِيضَـةٌ عَلِيلَةٌ! غَرِيبٌ مَـا تَقُولِينَ! كَيْفَ تَحَوَّلَتْ أُخْتُكِ إِلَى غَزَالَةٍ وَمَنِ ٱلَّـذِي حَوَّلَهَا، وَسَحَرَهَا؟ وَلِمَاذَا هِيَ مَرِيضَةٌ عَلِيلَةٌ؟ مَاذَا أَصَابَهَا؟ وَمِمَّ تَشْكُو؟

مَسَحَتْ بَرِيقُ دُمُوعَهَا، وَأَجَابَتْ:

- أُخْتِي لَهَا قِصَّةٌ طَـوِيلَةٌ، سَأَحْكِيهَا لَكِ فِيمَا بَعْدُ، أَمَّـا الآنَ فَهَيَّا بِسُرْعَةٍ مَعِي... هَيَّا... عَجِّلِي يَا وَدِيعَةُ.

اِنْتَصَبَتْ وَدِيعَةُ وَاقِفَةً، وَقَالَتْ:

- إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ مَعَكِ؟!

- إِلَى أُخْتِي «أَجْفَانَ».. إِنَّهَا خَارِجَ هَذَا ٱلْقَصْرِ.

تَذَكَّرَتْ وَدِيعَةُ أَنَّ أَبَاهَا أَوْصَاهَا بِأَنْ لاَ تَبْتَعِدَ عَنِ السَّاقِيَةِ.

فَقَالَتْ لِبَرِيقَ:

– لَا أَسْتَطِيعُ الذَّهَابَ مَعَكِ يَا بَرِيقُ، أَخْشَى أَنْ أَتَأَخَّرَ عَنْ أَبِي.

– وَلَكِنَّكِ لَا تَعْرِفِينَ طَرِيقَ ٱلْعَوْدَةِ إِلَى قَصْرِ بَدِيعَةَ.

طَأْطَأَتْ وَدِيعَةُ رَأْسَهَا، وَقَالَتْ:

– هَذَا صَحِيحٌ.

وَضَعَتْ بَرِيقُ يَدَهَا عَلَى كَتِفِ وَدِيعَةَ، وَقَالَتْ لَهَا:

– هَيَّا إِذَنْ مَعِي. فَإِذا أَنْقَذْتِ أُخْتِي أَجْفَانَ، طَلَبْتُ مِنْ أَبِي أَنْ يَبْعَثَ مَعَكِ مَنْ يَدُلُّكِ عَلَى قَصْرِ بَدِيعَةَ، فَتَأْخُذِينَ مَعَكِ دُمْيَتَكِ مَنَّانَةَ وَتَعُودِينَ إِلَى أَبِيكِ.

أَطْرَقَتْ وَدِيعَةُ، وَأَخَذَتْ تُفَكِّرُ فِيمَا قَالَتْهُ بَرِيقُ، وَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا: «صَحِيحٌ، مَا قَالَتْ بَرِيقُ. فَأَنَا لَا أَعْرِفُ طَرِيقَ ٱلْعَوْدَةِ إِلَى قَصْرِ بَدِيعَةَ، فَلِمَاذَا لَا أَذْهَبُ مَعَهَا، وَأَشْفِي أُخْتَهَا «أَجْفَانَ»، فَيَفْرَحُ أَبُوهَا، وَيَأْمُرُ بِإِيصَالِي إِلَى قَصْرِ بَدِيعَةَ؟». وَرَفَعَتْ وَدِيعَةُ رَأْسَهَا وَٱبْتَسَمَتْ لِبَرِيقَ، وَقَالَتْ لَهَا:

– حَسَنًا، سَأَذْهَبُ مَعَكِ، يَابَرِيقُ.

فَرِحَتْ بَرِيقُ وَأَمْسَكَتْ بِيَدِ وَدِيعَةَ، وَقَادَتْهَا إِلَى بَابِ ٱلْقَصْرِ، وَشَرَعَتْ تُصَفِّقُ وَتَقُولُ:

– اِظْهَرْ يَا عِمَادُ.. حَانَ ٱلْمِيعَادُ.. اِفْتَحِ ٱلْبَابَ.. طَالَ ٱلْغِيَابُ.

فَٱنْشَقَّ جِدَارُ السَّقِيفَةِ، وَخَرَجَ عِمَادٌ يَحْمِلُ حُزْمَةً مِنَ ٱلْمَفَاتِيحِ.. اِبْتَسَمَ لِوَدِيعَةَ، وَمَرَّرَ يَدَهُ عَلَى كَتِفِ وَشَعْرِ بَرِيقَ مُلَاطِفًا. وَقَالَ:

– هَا أَنَا يَا بَنَاتُ..

جِئْتُ فِي ٱلْمِيقَاتِ..

وَفَتَحَ لَهُمَا الْبَابَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى بَرِيق، وَقَالَ لَهَا:

– بَلِّغِي سَلَامِي إِلَى بَوَّابِ قَصْرِكُمْ شَدَّادٍ، وَقُولِي لَهُ: اِقْضِ حَاجَتِي يَا شَدَّادُ، فَقَدْ مَلَلْتُ الرُّقَادَ..

– طَيِّب، يَا عَمُّ عِمَادُ.. سَأُبْلِغُ وَصِيَّتَكَ لِلْبَوَّابِ شَدَّادٍ..

وَقَالَ لِوَدِيعَةَ:

– لَا تُطِيلِي الْغِيَابَ.. فَيَقْلَقَ عَلَيْكِ أَبُوكِ..

– سَوْفَ لَا أُطِيلُ الْغِيَابَ يَا عَمِّي عِمَادَ، حَتَّى لَا يَقْلَقَ أَبِي.

– مَعَ السَّلَامَةِ، يَا بَنَاتُ..

رَدَّتْ وَدِيعَةُ وَبَرِيقُ فِي صَوْتٍ وَاحِدٍ:

– مَعَ السَّلَامَةِ يَا عَمَّنَا عِمَادَ.

خَرَجَتِ الْفَتَاتَانِ مِنَ الْقَصْرِ، وَلَمْ تَبْعُدَا كَثِيراً عَنِ الْبَابِ، حَتَّى أَبْصَرَتَا ـ تَحْتَ سُورِ الْقَصْرِ ـ غَزَالَةً جَمِيلَةً، يَبْدُو عَلَيْهَا التَّعَبُ وَالْمَرَضُ، تَرْفَعُ عُنُقَهَا مِنْ حِينٍ لِآخَرَ كَأَنَّهَا تَتَطَلَّعُ إِلَى شَخْصٍ تَنْتَظِرُ وُصُولَهُ. فَقَالَتْ وَدِيعَةُ لِبَرِيق:

– أَهَذِهِ الْغَزَالَةُ هِيَ أُخْتُكِ أَجْفَانُ؟

قَالَتْ بَرِيقُ، وَهْيَ تَكَادُ تَبْكِي:

– نَعَمْ، إِنَّهَا أُخْتِي أَجْفَانُ.

أَشْفَقَتْ وَدِيعَةُ عَلَى الْغَزَالَةِ الْجَمِيلَةِ، وَأَسْرَعَتْ إِلَيْهَا.. وَمَا إِنْ تَبَيَّنَتْ الْغَزَالَةُ أُخْتَهَا بَرِيقَ حَتَّى لَمَعَتْ عَيْنَاهَا، وَمَدَّتْ عُنُقَهَا، وَأَخَذَتْ تَتَشَمَّمُ ثَوْبَهَا. ثُمَّ نَقَلَتْ بَصَرَهَا إِلَى وَدِيعَةَ، ونَظَرَتْ إِلَيْهَا نَظْرَةً طَوِيلَةً، كَأَنَّهَا تَشْكُرُهَا عَلَى قُدُومِهَا، وَتُرَحِّبُ بِوُصُولِهَا.

قَالَتْ وَدِيعَةُ:

– مِمَّ تَشْكُو أُخْتُكِ أَجْفَانُ؟

أَجَابَتْهَا بَرِيقُ:

– تَشْكُو مِنْ جُرْحٍ فِي سَاقِهَا.

نَظَرَتْ وَدِيعَةُ إِلَى الْغَزَالَةِ نَظْرَةَ إِشْفَاقٍ وَحَنَانٍ، فَوَضَعَتِ الْغَزَالَةُ رَأْسَهَا فِي حِجْرِ وَدِيعَةَ.

قَالَتْ وَدِيعَةُ لِبَرِيق:

– مَاذَا يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَفْعَلَ لِأَشْفِيَ أُخْتَكِ مِنْ جُرْحِهَا؟

فَأَطْرَقَتْ بَرِيقُ لَحْظَةً، ثُمَّ قَالَتْ:

– قَالَ لَنَا أَبِي ـــ حِينَ حَذَّرَنِي أَنَا وَأُخْتِي مِنَ ٱلْخُرُوجِ إِلَى ٱلْمُرُوجِ فِي عِيدِ ٱلْعَقِيقِ–:

«إِذَا وَقَعَ الشَّــرُّ..

وَزَالَ ٱلْخَطَرُ..

تُسْرِعُ ٱلَّتِي تَنْجُو مِنْكُمَا إِلَى قَصْرِ بَدِيعَةَ، اِبْنَةَ الشَّيْخِ رَبِيعَةَ..

وَتُرَدِّدُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ:

يَا عِمَادُ.. حَانَ ٱلْمِيعَادُ...

اِفْتَحِ ٱلْبَابَ.. لِنَرَى ٱلأَحْبَابَ..

فَيَفْتَحُ لَهَا عِمَادُ حَارِسُ ٱلْقَصْرِ ٱلْبَابَ بَعْدَ لَحَظَاتٍ.. فَتَنْتَظِرُ حَتَّى يَحِينَ ٱلأَوَانُ.. وَتَزُولَ الأَحْزَانُ.. وَتُزَفَّ قُوتُ ٱلْقُلُوبِ، وَيَتَحَقَّقَ ٱلْمَرْغُوبُ.. فَتَقْتَرِبُ مِنْ وَدِيعَةَ ٱلْبُنَيَّةِ ٱلْمُطِيعَةِ، وَتَطْلُبُ مِنْهَا رَبَاحَ السَّمَاحِ[1].

اِنْدَهَشَتْ وَدِيعَةُ مِنْ هَذَا ٱلْكَلاَمِ، وَقَالَتْ:

–التَّسَاهُلُ! السَّمَاحُ!..هَـذَا مَا كَانَتْ تَنْهَانِي عَنْـهُ أُمِّي فِي كُلِّ مَسَاءٍ وَصَبَاحٍ.

(1) يقال: «السّماح رَبَاح»: أي المساهلة في الأشياء تُرْبِح صاحبها.

اِبْتَسَمَتْ بَرِيقُ، وَقَالَتْ لَهَا:

– لَيْسَ ٱلأَمْرُ فِي بِلاَدِنَا مِثْلَمَا هُوَ فِي بِلاَدِكُمْ، فَنَحْنُ نَعِيشُ فِي سُكُونٍ، أَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ تَهْدَؤُونَ.

– لَكِنْ فِي أَيِّ شَيْءٍ أَتَسَاهَلُ لِتَرْبَحِي؟ مَاذَا عَلَيَّ أَنْ أَفْعَلَ؟

– يَقُولُ أَبِي: «تَنْزَعُ الإِنْسِيَّةُ ٱلأَعْشَابَ مِنَ السَّاقِيَةِ، إِلَى أَنْ تَصِلَ إِلَى عَيْنِ ٱلْمَاءِ الصَّافِيَةِ.. وتُقَدِّمُ ٱلأَعْشَابَ لِلثَّوْرِ ٱلْمَرْبُوطِ، فَيَأْكُلُ مِنْهَا حَتَّى يَشْبَعَ.. ثُمَّ تَشُدُّ الإِنْسِيَّةُ وَثَاقَهُ إِلَى النَّاعُورَةِ ٱلْكَبِيرَةِ، وتَحُثُّهُ بِلَهْجَةٍ قَوِيَّةٍ، قَائِلَةً: «تَحَرَّكْ يَا أَقْوَى الثِّيرَانِ.. وَدُرْ مِثْلَمَا يَدُورُ الزَّمَانُ.. تَحَرَّكْ حَتَّى لاَ يَفُوتَ الأَوَانُ.. وَيُصِيبَنَا ٱلْحِرْمَانُ..» مَا إِنْ تَقُولَ ذَلِكَ حَتَّى يَخُورَ الثَّوْرُ، وَيُسْرِعَ فِي مَشْيِهِ، فَتَدُورَ النَّاعُورَةُ ٱلْكَبِيرَةُ، وَيَنْهَالَ ٱلْمَاءُ مِنْ قَوَادِيسِهَا غَزِيرا كَالْمَطَرِ، وَيَمْتَلِئَ ٱلْحَوْضُ فِي لَمْحِ ٱلْبَصَرِ.. وَعَلَى خَرِيرِ ٱلْمَاءِ، تَظْهَرُ عَجُوزٌ شَمْطَاءُ تُرِيدُ شُرْبَ ٱلْمَاءِ، فَيَهِيجُ الثَّوْرُ، وَتَحْمَرُّ عَيْنَاهُ، وَيَهْجُمُ عَلَيْهَا بِكُلِّ قُوَاهُ، فَتَخَافُ ٱلْعَجُوزُ وَتَطْلُبُ مِنَ الإِنْسِيَّةِ أَنْ تَسْقِيَهَا وَلَوْ جَرْعَةَ مَاءٍ، لأَنَّهَا سَتَمُوتُ مِنْ شِدَّةِ الظَّمَإِ...

قَاطَعَتْهَا وَدِيعَةُ قَائِلَةً:



– مِسْكِينَةٌ هَذِهِ ٱلْعَجُوزُ. سَأُقَدِّمُ لَهَا ٱلْمَاءَ بِسُرْعَةٍ.

فَصَاحَتْ بَرِيقُ:

– إِيَّـاكِ... لاَ تَفْعَلِي ذَلِكَ، يَـا وَدِيعَــةُ.. بَلْ قُـولِي لَهَا: «لاَ أَسْقِيكِ يَاخَـالَتِي «جَوْشَنَ»، إِلاَّ إِذَا أَعْطَيْتِنِي بُـذُورَ السَّوْسَنِ». سَتُقْسِمُ لَكِ ٱلْعَجُوزُ أَلْـفَ يَمِينٍ، بِأَنَّهَا لاَ تَمْلِكُ بُذُورَ السَّـوْسَنِ. وَتَعْرِضُ عَلَيْكِ ٱلْيَاقُوتَ، وَعَسَلَ النَّحْلِ، وَكَبِـدَ ٱلْحُوتِ،، فَلاَ تُصَدِّقِيهَا، وَلاَ تُصْغِي لِتَـوَسُّلاَتِهَا، قُـولِي لَهَا فِي تَهْدِيـدٍ ووَعِيدٍ: «سَأَفُكُّ وَثَـاقَ الثَّـوْرِ ٱلْمَرْبُــوطِ، لِيَقْطَعَ ٱلْحِبَـالَ وَٱلْخُيُــوطَ، وَيَنْطَحَكِ فَيُرْدِيَكِ قَتِيلَــةً».. وَمَا إِنْ تَسْمَعِ ٱلْعَجُوزُ مِنْكِ هَذَا التَّهْدِيدَ. حَتَّى تُدْخِلَ يَـدَهَـا الضَّـامِـرَةَ، فِي خُبْنَـةِ مُـلاَءَتِهَا ٱلْخَضْرَاءِ، وتُخْرِجَ صُرَّةً صَغِيرَةً، تَـرْمِيهَــا عَلَى ٱلأَرْضِ، فَٱلْتَقِطِيهَـا بِسُرْعَــةٍ، وَٱفْتَحِي ٱلْحَوْضَ، وَعِنْدَ ذَلِكَ سَوْفَ تَصِيحُ ٱلْعَجُـوزُ غَاضِبَةً، وَتَقُولُ لَكِ: «خُنْتِ يَاإِنْسِيَّةُ.. وَأَكْبَرْتِ ٱلْبَلِيَّــةَ..» فَلاَ تَكْتَرِثِي لِقَوْلِهَا، وَٱرْكُضِي بِجِـوَارِ السَّــاقِيَةِ، قَبْلَ أَنْ يَصِلَ ٱلْمَاءُ إِلَى هَـذَا ٱلْحَقْلِ.. وَإِيَّـاكِ أَنْ تَلْتَفِتِي إِلَى ٱلْعَجُوزِ ٱلْمُحْتَالَةِ، فَتُحِيلَكِ مِثْلَ أُخْتِي إِلَى غَزَالَةٍ...

قَالَتْ وَدِيعَةُ فِي إِصْرَارٍ:

– لَنْ أَلْتَفِتَ إِلَيْهَا.

سَأَلَتْ بَرِيقُ وَدِيعَةَ فِي تَحَرٍّ وَتَثَبُّتٍ:

- هَلْ فَهِمْتِ جَيِّداً مَا قَالَهُ أَبِي يَا وَدِيعَةُ؟

رَدَّتْ وَدِيعَةُ فِي تَأْكِيدٍ

- نَعَمْ.. نَعَمْ. فَهِمْتُ يَا بَرِيقُ. وَمَاذَا أَفْعَلُ بَعْدَ ذَلِكَ؟

قَالَتْ بَرِيقُ:

- إِذَا فَعَلْتِ مَا قَالَهُ أَبِي، وَرَجَعْتِ إِلَيْنَا سَالِمَةً.. أَخَذْتُ مِنْكِ صُرَّةَ الْبُذُورِ، وَشَرَحْتُ لَكِ كُلَّ الْأُمُورِ، وَالآنَ، هَيَّا عَجِّلِي يَا وَدِيعَةُ، فَقَدِ اشْتَدَّ الأَلَمُ بِأُخْتِي.

* * *

شَمَّرَتْ وَدِيعَةُ عَنْ ذِرَاعَيْهَا، وَأَخَذَتْ تُقَلِّعُ الأَعْشَابَ مِنَ السَّاقِيَةِ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى عَيْنِ الْمَاءِ الْجَارِيَةِ.. وَفَعَلَتْ مَعَ الثَّوْرِ وَالْعَجُوزِ كُلَّ مَا قَالَتْهُ لَهَا بَرِيقُ، وَأَخَذَتِ الصُّرَّةَ مِنَ الْعَجُوزِ، وَفَتَحَتِ الْحَوْضَ، وَرَكَضَتْ مَعَ الْمَاءِ الْجَارِي فِي السَّاقِيَةِ حَتَّى وَصَلَتِ الْحَقْلَ، فَرَأَتْ بَرِيقَ تَمْسَحُ بِلُطْفٍ عَلَى عُنُقِ الْغَزَالَةِ، وَمَا إِنْ شَاهَدَتْهَا بَرِيقُ حَتَّى وَثَبَتْ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ، وَارْتَمَتْ عَلَيْهَا تُعَانِقُهَا وَتُقَبِّلُهَا.. مَدَّتْ وَدِيعَةُ إِلَيْهَا الصُّرَّةَ قَائِلَةً:

- هَاهِيَ ذِي بُذُورُ السَّوْسَنِ.

تَسَلَّمَتْ بَرِيقُ الصُّرَّةَ، وَفَتَحَتْهَا، وَعِنْدَمَا رَأَتِ الْبُذُورَ هَزَّهَا الْفَرَحُ وَالابْتِهَاجُ، وَقَالَتْ لِوَدِيعَةَ:

- أَرَأَيْتِ هَذِهِ الأَرْضَ الْوَاطِئَةَ الَّتِي غَمَرَهَا الْمَاءُ؟.. أَلْقِي فِيهَا بُذُورَ السَّوْسَنِ، وَأَغْمِضِي عَيْنَيْكِ، وَرَدِّدِي سَبْعَ مَرَّاتٍ: «يَا كُنْكُنْ.. يَاكُنْكُنْ.. قَهَرْنَا جَوْشَنْ.. فَتِّحْ زُهُورَ السَّوْسَنْ»..

فَعَلَتْ وَدِيعَةُ مَا قَالَتْهُ لَهَا بَرِيقُ... ثُمَّ فَتَحَتْ عَيْنَيْهَا، فَرَأَتِ الْمَاءَ قَدْ غَاضَ، وَنَجَمَتِ الأَعْشَابُ، وَغَمَرَتِ الأَرْضَ زُهُورُ السَّوْسَنِ الْجَمِيلَةُ. فَضَحِكَتْ بَرِيقُ، وَقَبَّلَتْ وَدِيعَةَ، وَقَالَتْ لَهَا:

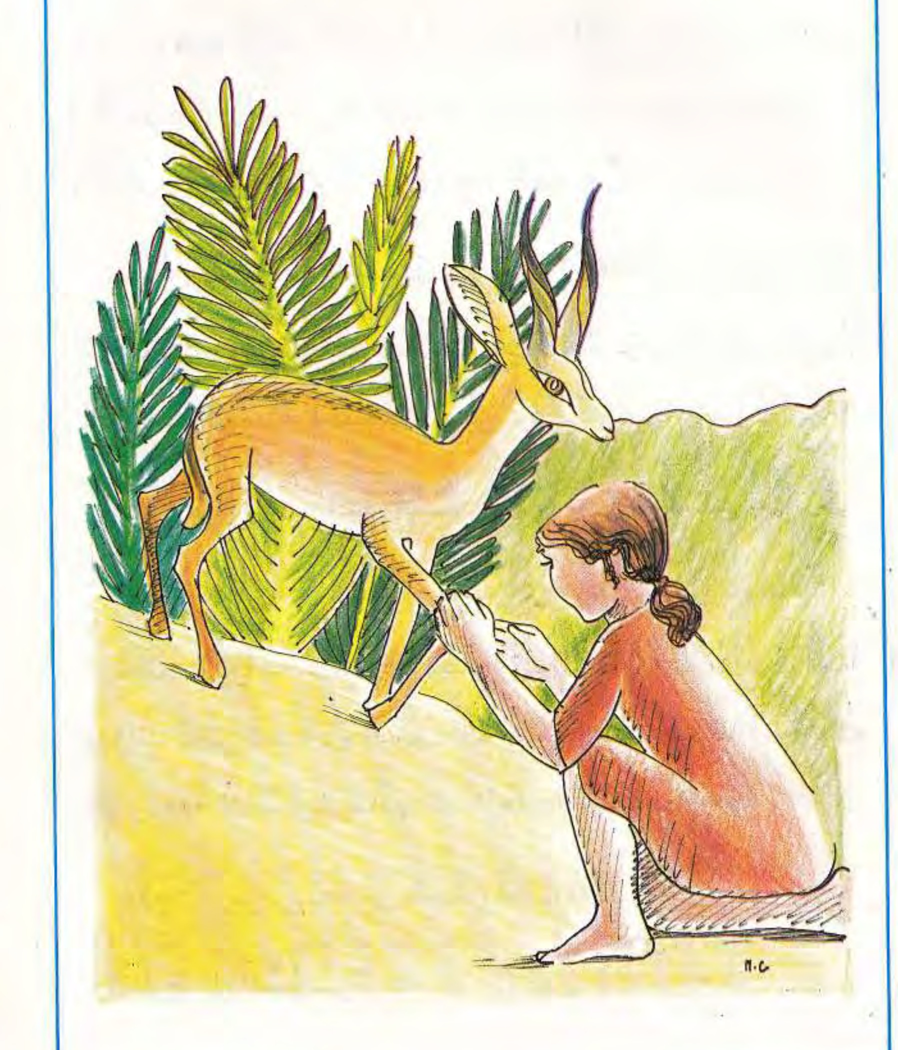
- اِقْطِفِي سَبْعَ زَهَرَاتٍ، وَاسْحَقِيهَا بَيْنَ يَدَيْكِ، وَادْلُكِي بِهَا رُكْبَةَ أُخْتِي..

قَطَفَتْ وَدِيعَةُ الزَّهَرَاتِ وَسَحَقَتْهَا، وَمَا إِنْ دَلَكَتْ بِهَا رُكْبَةَ الْغَزَالَةِ، حَتَّى ثَغَتْ، وَارْتَعَشَتْ، ثُمَّ انْتَصَبَتْ عَلَى قَوَائِمِهَا، وَأَقْبَلَتْ عَلَى وَدِيعَةَ تَتَشَمَّمُهَا وَكَأَنَّهَا تَشْكُرُهَا عَلَى صَنِيعِهَا مَعَهَا.

جَذَبَتْ بَرِيقُ وَدِيعَةَ مِنْ كُمِّهَا، وَقَالَتْ لَهَا:

- أُنْظُرِي إِلَى السَّوْسَنِ،

الْتَفَتَتْ وَدِيعَةُ فَرَأَتِ السَّوْسَنَ قَدْ ٱسْتَطَالَتْ أَعْوَادُهُ، وَٱنْتَشَرَتْ أَعْرَافُهُ، وَتَكَاثَرَتْ زُهُورُهُ، فَظَهَرَ عَلَيْهَا ٱلْعَجَبُ وَالانْدِهَاشُ.



فَقَالَتْ لَهَا بَرِيقُ:

- هَيَّا بِنَا قَبْلَ أَنْ تَذْبُلَ زُهُورُ السَّوسَنِ، وَتَصْفَرَّ أَوْرَاقُهُ، وَتَيْبَسَ أَعْوادُهُ، وَتَتَسَاقَطَ هَشِيماً.

قَالَتْ وَدِيعَةُ:

- إِلَى أَيْنَ؟

أَجَابَتْهَا بَرِيقُ:

- إِلَى بِلَادِنَا.. إِلَى قَصْرِ أَبِي وَأُمِّي.. إِلَى عَمَّاتِي وَخَالَاتِي.

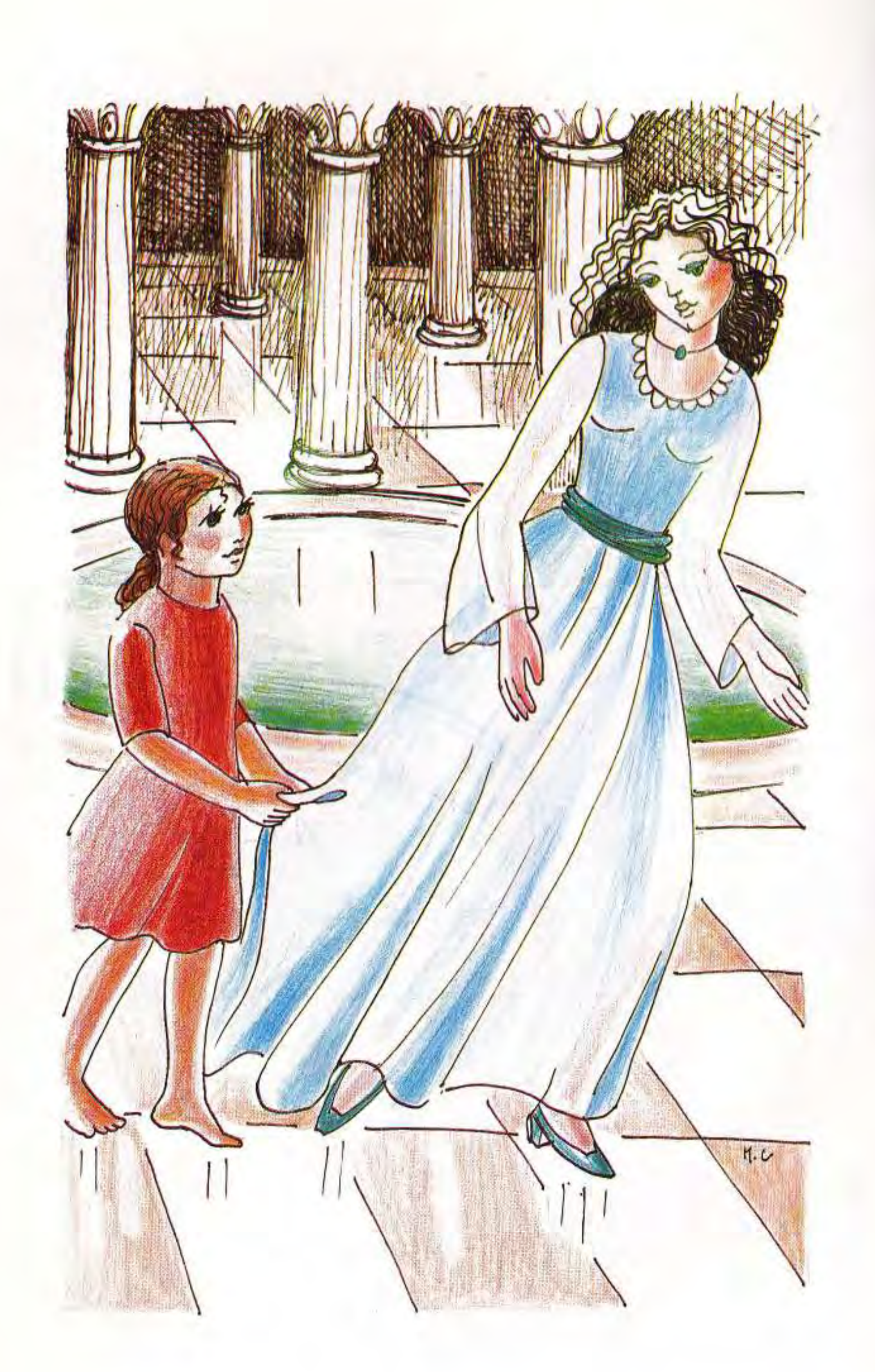
قَالَتْ وَدِيعَةُ:

- هَلْ هِيَ بَعِيدَةٌ يَا بَرِيقُ؟

ضَحِكَتْ بَرِيقُ، وَقَالَتْ:

- سَنَصِلُ إِلَيْهَا فِي غَمْضَةِ عَيْنٍ. اِسْمَعِي جَيِّداً مَا أَقُولُهُ لَكِ: تَقْطِفِينَ ثَلَاثَ زَهَرَاتٍ، وَتَسْحَقِينَهَا بَيْنَ يَدَيْكِ، وَتَدْلُكِينَ بِهَا عَيْنَيْكِ، وَتَشُدِّينَ ثَوْبِي، وَتَتْبَعِنَنِي، وَلَا تَفْتَحِي عَيْنَيْكِ إِلَّا حِينَ تَسْمَعِينِي أَضْحَكُ.

تَعَجَّبَتْ وَدِيعَةُ، وَقَالَتْ لَهَا:



- وَأُخْتُكِ أَجْفَانُ؟

قَالَتْ بَرِيقُ:

- اِطْمَئِنّي عَلَيْهَا، مَا إِنْ تَغْمُرُهَا الزُّهُورُ حَتّى تَرْجِعَ إِلَى صُورَتِهَا سَتَرَيْنَهَا يَا وَدِيعَةُ كَمْ هِيَ جَمِيلَةٌ وَحَسْنَاءُ.

- أَهِيَ فِي سِنِّكِ؟

- بَلْ هِيَ أَكْبَرُ مِنّي. إِنَّهَا صَبِيَّةٌ فِي عُمْرِ قُوتِ ٱلْقُلُوبِ.

- مِسْكِينَةٌ! وَمَنِ ٱلَّذِي حَوَّلَهَا إِلَى غَزَالَةٍ؟

- سَأَقُصُّ عَلَيْكِ ذَلِكَ عِنْـــدَمَـا نَصِلُ ٱلْقَصْرَ.. وَالآنَ، هَيَّـا عَجِّلِي يَاوَدِيعَةُ.

أَسْرَعَتْ وَدِيعَـةُ بِقَطْفِ ثَلَاثِ زَهَـرَاتٍ، وَسَحَقَتْهَا بَيْنَ كَفَّيْهَـا، وَأَغْمَضَتْ عَيْنَيْهَا وَدَلَكَتْهُمَا بِالـزَّهَرَاتِ ٱلْمَسْحُوقَةِ، وَمَـدَّتْ يَدَهَا فَأَمْسَكَتْ بِثَوْبِ بَـرِيقَ، وَأَخَذَتْ تَتْبَعُهَا، وَتَسِيرُ وَرَاءَهَـا خُطْوَةً، خُطْوَةً...



عناوين سلسلة

مغامرات الكهف

تم طبع هذا الكتاب بالمطابع الموحدة

مجموعة سراس

6 شارع عبد الرحمان عزام – 1002 تونس

مارس 1994

الحِكَايَاتُ زُهُـورٌ تُزَيِّنُ جَنَّةَ الأطْفَـالِ، وَتَمْلَؤُهَا عِطْـرًا، وَجَمَالاً وَخَيَـالاً بِعَجَـائِبِهَـا الشَّبِيهَـةِ بِعَجَـائِبِ الكَهْفِ المُخَبَّأَةِ فِي حِكَـايَاتِ هَـذَا المُسَلْسَلِ الَّذِي كَتَبَهُ لَهُمْ محمّـد المختار جنّات وتُصدره لهم «سيراس للنّشر» في إحـدى عشرة حلقة:

1 ــ أعراس القرية	6 ــ وفاء أجفان
2 ــ وديعة وبديعة	7 ــ هديّة السلطان
3 ــ عقد الياسمين	8 ــ عروس البحر
4 ــ زهور السوسن	9 ــ مبارزة الأمير
5 ــ سرّ الغزالة	10 ــ مرآة الدنيا

11 ــ عودة وديعة

BN 9973-19-085-8
رقم الناشر : 0241
الثمن : 0,980 د.ت